الاختلاف والإرجاء في شعر ابن الأبار القضاعي: قراءة تفكيكية للمقدمات الغزلية في شعره المدحيّ

د. نزار جبريل السعودي

جامعة زايد – كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم اللغة العربية

الاختلاف والإرجاء في شعر ابن الأبار القضاعي: قراءة تفكيكية للمقدمات الغزلية في شعره المدحيّ

د. نزار جبريل السعودي

ملخص البحث:

تروم هذه الدراسة قراءة المقدمة الغزلية في شعر ابن الأبّار المدحي، وفهم جدلية حضور المحبوبة ودلالاتها الغائبة في نصه الشعري المدحي، وقد عمّقت الدارسة النظر والتحليل للجدليات الآتية:

- جدلية الهجر المبطن والمحبة الحاضرة.
- جدلية الطموحات الغائبة والمكانة الضائعة.
- جدلية العهود الغائبة وبنية الاستشفاع الحاضرة.
- جدلية المكان الحاضر الغائب.

وقد تمكّنت الدراسة من فهم الدلالات الغائبة للمحبوبة الحاضرة في المقدمة الغزلية، حيث اتخذها الشاعر قناعا نفسيا يشي بما تُبطِنُهُ السلطة السياسية له من هجر وإقصاء، وحرمان من المكانة الرفيعة، كما مثّلت رمزا للعهد المقطوع من ولي العهد بالشفاعة له، ومثّلت أخيرا الأندلس مكانا غائبا مُضيَّعا.

كلمات مفتاحية: اختلاف- إرجاء- قراءة تفكيكية- غزل.

Deference and absence in the poetry of Ibn Al-Abbar: a deconstructive reading to the introductions of the dalliance in his praising poems.

ABSTRACT

This study aims to read the dalliance introduction in Ibn Al-Abbar praising poem and understands the argumentation of the presence of his beloved and her absence implications in the poetic praising text. This study has deepened the view and the analysis to the following argumentative:

- Dialectic of the hidden abandonment and the present love.
- Dialectic of the absent ambitions and the lost standing.
- Dialectic of the absent covenants and the structure of forgiving and being a mediator .
- Dialectic of the absent-present place.

The study was able to understand the absent implications for the beloved who appears in the praising introduction, as the poet had taken her as a psychological mask that tells what is hidden in the political authority of his abandonment and exclusion and deprivation of prestigious position. It also represented a symbol of the vow that was given to him by the Crown Prince to forgive him; it also represented the Andalusia as an absent-present place .

Key words: Deference- absence - deconstructive reading - dalliance

مهاد نظري:

تعددت التسميات التي أطلقت على القراءة التفكيكية، فقد سمّيت بالتّشريحية والتقويضية إضافة إلى التفكيكية التي تعدّ أشهر هذه التسميات، ويقصد بالقراءة التفكيكية القراءةُ المزدوجة التي "تسعى إلى دراسة النص مهما كان دراسة تقليدية أولا لإثبات معانيه الصريحة، ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج في قراءة متعاكسة، تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معانٍ تتناقض مع ما يصرّح به"[1]، وهو ما قصده (دريدا Derrida) بقوله: "ما يهمني في القراءات التي أحاول إقامتها ليس النقد من الخارج، وإنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص، والعثور على توترات أو تناقضات داخلية، يَقرأ النص من خلالها نفسه، ويفكك نفسه بنفسه"[2]، ولذلك تتجه القراءة التفكيكية نحو تحليل النصوص، رجاة الكشف عن الثغرات التي تدعو إلى القلق ومراوغة المعنى المخبوء تحت قناع اللغة، فالنص متاهة بسبب من تسرب المضامين الأيدلوجية إليه، والتي شكّلت نواته الداخلية، مما يجعل ظاهر النص مراوغاً لباطنه، وهذا ما دعا (دريدا) إلى دراسته، إذ هو غير معنيّ "بالمنطوق والمصرّح به، ولا يعنى بالمتن وطروحاته، بقدر ما يلتفت إلى الهوامش والحواشي، ويعنى باختلاف النص وتواتراته، أو يهتم بخداع الكلام ومخاتلته"[3]، فالخطاب المتلبس المراوغ متشابك الدلالات ومتعدد المستويات، وهذا النوع من الخطابات هو وحده ما يتيح إمكانية القراءة الكاشفة، ووفقاً للقراءة التفكيكية التي تبناها (دريدا) ظهر مفهوم الاختلاف، هذا المفهوم الذي احتفى بالمكتوب أكثر من المنطوق الشفاهي، ذلك أن نقش المعنى وكتابته بوساطة العلامات يهبه استقلالا وحرية عن المؤلف الأصلي، وهذا ما يمنحه مزيداً من إمكانات التفسير وهكذا "تستمر العلامات المكتوبة بتوليد بُعدها الدلالي بغياب المؤلف، وحتى بعد موته"[4]، حيث قام

(دريدا) بتحطيم المرتكز الفكري لثنائيات كثيرة، من مثل: الروح/ الجسد والشكل/ المعنى والاستعاري/ الواقعي وغيرها، وقلْبِ المتمركز منها ليصير هامشيا، ويصير الهامشي مركز الخطاب، وقد أطلق على ذلك عبارة (التمركز حول العقل)، حيث "تذوب الدلالة المركزية أو الأصلية المفترضة أو المتعالية، وينفتح الخطاب على أفق المستقبل دونما ضوابط مسبقة، وتتحوّل قوة الحضور بفعل نظام الاختلاف إلى غياب للدلالة المتعالية إلى تخصيب للدلالة المتعالية"(٥) وقد صكّ (دريدا) مصطلح الإرجاء مؤكداً على ضديته لمصطلح الحضور، موضحاً أن استخدام النظام اللغوي/ العلامات يكون لعدم القدرة على الوصول إلى الشيء أو الفكرة، إذ يذكر أنه حينما نعجز عن الاتيان بشيء ما وبفكرة، فإننا نشير إليها بكلمة، أي أننا نقوم بتفتيت للمعنى الحاضر، وهذا التفتيت ناتج من واقع أن "النص المكتوب يمكن أن يُقرَأ وتُعاد قراءته ضمن سياقات مختلفة تخلص إلى إنتاج انزلاقات للمعنى تكون نتيجتها الرئيسة الإرجاء"(٦)، ومن ثم "نستخدم العلامات مؤقتا ريثما نتمكن من الوصول إلى الشيء أو الفكرة، وعلى هذا فإن اللغة هي حضور مرجأ للأشياء والمعاني، ولا يمكن إذن افتراض حضورها في وجود اللغة"(٧) وتبعاً لذلك فإن حضور الدال (اللغة) يمكن له أن يحمل دلالات كثيرة غائبة، وبهذا يخلص إلى أن مصطلح الاختلاف يقوم في حقيقته على تعارض الدلالات، مشكّلا انزياحاً تصبح بواسطته اللغة أو الشيفرة أو أي نظام مرجعي عام ذا ميزة تاريخية مكونة من "بنية من الاختلافات"(٨) مما يتيح اجتياح العلامة وتحويل عملياتها إلى أثر ما، وليس حضوراً ذاتياً لها، وينشأ الأثر من خلال هذا التعارض الحاصل بين ثنائية الحضور والغياب، فقد دعا دريدا إلى قلب النظام الذي يرى أن للكلام أفضلية على الكتابة، حيث يرى أن الكتابة هي الأصل، مؤكدا على رفضه مبدأ التمركز حول اللوغوس (الصوت)، وقد أوضح أهمية هذا القلْب قائلا:

"إن أهمية هذا الإحلال لا تكمن في إعطاء نظرية الكتابة القوة اللازمة ضد القمع النابع من مركزية اللوغوس، وضد الارتباط باللغويات، ولكنها كذلك ستحرر المشروع السيميولوجي (علم العلامات) نفسه، برغم امتداده الكبير، من أن يظل محكوماً باللغويات، فيحدد نفسه طبقاً لها ولمركزها وغايتها في آن"(٩).

وتنطلق التفكيكية من مبدأ الشك الذي يفضح المراوغة، إذ لا يستطيع أي عنصر سواءً أكان في خطاب منطوق أو مكتوب أن يقوم بوظيفته كعلامة دون أن يرتبط بعنصر آخر هو أيضاً ببساطة ليس حاضراً، ولذلك أدخل (دريدا) كلمة لعب (play) وإحلالها محل كلمة تعارض (contrast)، "وهكذا يصبح لعب الاختلافات الآن هو مصدر المعنى، فاللعب لم يعد مجرد تعارضات معينة، ولكنه أصبح دون حدود ولا نهائيا"(١٠)، ويمكن تمثيل فكرة الحضور والغياب بفكرة السهم المنطلق، التي ذكرها (جوناثان كلر Jonathan Culler)، وهنا يذكر الباحثُ حديثَه تماماً كي تتوضح الفكرة الفلسفية، إذ يقول: "إذا كنا نعتبر أن الواقع هو ما يكون حاضرا عند أي لحظة محددة، فسوف تنطوي حركة السهم من ثم على مفارقة، ذلك أن السهم موجود في نقطة مستقلة عند كل لحظة، إنه دائماً في نقطة مستقلة وليس في حالة حركة... وحركته ليست حاضرة عند أية لحظة حضور، إن حضور الحركة يمكن تصورها بقدر ما تكون كل لحظة موسومة فعليا بآثار Traces الماضي والمستقبل فحسب"(١١).

وتتفق القراءة التفكيكية في كثير من جوانبها مع نظرية التلقي، التي تفتح أفق التأويل أمام القارئ، إذ يرى التفكيكيّون وأتباع نظرية التلقي أن المعاني تظل مؤجلة بشكل لا نهائي، فكل كلمة في اللغة تقودنا إلى أخرى في النظام الدلالي، ويمثل هذا الرأي جوهر التفكيكية القائلة بأن "كل قراءة هي إساءة أو خطا قراءة"(١٢)، وهذا المنطق التفكيكي يأتي للحد من فكرة الثبات الدلالي، وهو ما أراده (دريدا) بجعل الخطاب

تياراً غير متناه من الدلالات[١٣]، ولذلك اجترح مصطلح الغراموتولوجيا/ علم الكتابة؛ ليقلب التدرّج التقليدي لأفضلية الكلام على الكتابة، فهو يرى أن الكلام يختفي بانتهاء الحديث، ذلك أنه لا يمتلك خاصية البقاء إذا لم يُسجَّل، أما الثبات فهو من خصائص الكتابة، لهذا "عبّر الفلاسفة عن كرههم للكتابة؛ بسبب قوتها في تدمير الحقيقة الفلسفية، التي يريدون تقريرها... فليس هناك وجود لمجتمع من دون كتابة، من دون علامات، من دون حساب أو توثيق"[١٤].

وتأتي هذه الدراسة لتمحّص النظر في المقدمات الغزلية لشعر ابن الأبّار القضاعي، محاولةً استكشاف التعارضات الدلالية المركوزة في هذه المقدمات، وتباين المعنى الحاضر منها عن المعنى الغائب الخفي في بقية النص الشعري، والتي تشكّلت بفعل الاختلاف، حيث يرى الباحث أن المقدمات تشكّل جدليات لمعان غائرة في النص الشعري كجدلية الهجر المبطن والمحبة الحاضرة، وجدلية الطموحات الغائبة والمكانة الضائعة، وجدلية العهود الغائبة، وجدلية المكان الحاضر الغائب، حيث تتحوّل الدلالة الحاضرة في النص إلى دلالة نسقية متوارية في باطن نصه الشعري، والباحث بذلك يخالف رؤية ابن قتيبة في كتابة الشعر والشعراء، من أن الشاعر العربي ابتدأ قصيدته بالنسيب "ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل"[١٥]، فقد ذكر ابن قتيبة واحداً من أغراض النسيب، ولم يذكر رمزية المحبوبة الدلالية لما يعتمل في نفس الشاعر، فلا يستطيع الجهر به، فتغدو المقدمة الغزلية لدى ابن الأبّار بؤرة دلالية نسقية تُلْمِحُ بخفاء لدلالات غائبة عن حاضر النص الشعري، وهذا ما أكدّه ابن رشيق القيرواني من أنّ مَنْ يجعلُ من النسيب والغزل بابا واحدا فقد أخطأ[١٦].

فكيف تبدّت الجدلية الرمزية للمحبوبة في المقدمة الغزلية؟ وما هي الدلالات التي شكلها الاختلاف في نص ابن الأبّار الشعري؟ هذا ما ستحاول هذه الدراسة الإجابة عنه وإبرازه، عبر دراسة الجدليات الآتية:

الجدلية الأولى: جدلية الهجر المبطن والمحبة الحاضرة:

كثرت لدى ابن الأبار المقدمات الغزلية الموحية بالهجر والغدر، إذ بلغت تسع مقدمات غزلية في تسع قصائد، كما أنها جاءت في مفتتح قصائده المدحية للسلطان أبي زكريا يحيى المرتضى الحفصي حاكم تونس في أفريقيا، وبتفكيك تلك المقدمات ثقافيا تظهر الدلالات الرمزية الخفية للمحبوبة، التي اتّخذها ابن الأبّار مضمَراً نسقياً نفسياً يشي بما يعتمل في صدره تجاه السلطة السياسية في أفريقيا، حيث احتلت قضية عزله عن منصب الكتابة في البلاط الحفصي[١٧] المرتكز الثقافي الأبرز في هذا النوع من المقدمات، ولقد أبدى فيها جمال المحبوبة المادي/ الجسدي، موحياً بذلك إلى عِظَمِ ذلك المنصب الذي أُقِيلَ منه، يقول واصفاً مفاتن المحبوبة الرمزية:

وَضّاحَةٌ بَلَجاً نَفّاحةٌ أَرَجَا ... حَسّانةٌ فَلَجاً فتّانةٌ دَعَجا

تَفوتُ كُلَّ فَتَاةٍ في محَاسِنِها ... بِما تفُتُ بهِ الأرْوَاح والمُهجَا

فالخصْرُ يُنْهضُها ظَمآنَ منـدَمِجا ... والرِّدف يُنْبِضُها رَيَّانَ مُنْتَفجا[١٨]

ويحوّل الشاعر حضور المحبة الذي يبدو في ظاهر النص الشعري إلى غدر غائب، يتلوّن بين تضاعيف النص باسم المحبة، وهذا ما تسمح به القراءة التفكيكية التي تغيّب المعنى المركزي، فينقلب المركز هامشاً، وتتحول المحبة الحاضرة إلى غدر غائب خفي، وتسمح للدلالة بأن تنفتح مقوّضة المعنى الظاهر وفاضحة تناقضاته، فالكتابة تثير كل أنواع القراءات المختلفة، وتثير "كل أنواع إساءات الفهم، بما أن المتكلم غير موجود، كي يوضح للقارئ ما يدور في ذهنه"[١٩] حينما يشير إلى غدر المحبوبة، يقول:

طَفِقْتُ ألهجُ فيهِ بالنّسيبِ وإن ... عَهِدْتُهُ باجْتِنَابي مُولَعاً لَهِجا
كأنّه الزّمنُ العَادِي عَلى أدَبي ... يَسومُني الصّبرَ فيما شَجّني

فالمحبوبة الغادرة في المقدمة الغزلية تتشكّل لتمثّل دلالة خفية مضمرة للسلطان أبي زكريا الحفصي، وتقلب حال المحبة إلى الضد، وهذا ما حلّ بالشاعر حينما أقاله السلطان من منصبه وأعفاه منه، فَلِمَ أقالَ السلطان أبو زكريا الشاعرَ من منصبه؟

يُذْكَرُ أن ابن الأبّار كان موصوفا بسرعة الغضب وحدّة اللسان، إذ "تصدر عنه المساءة وكأنه لا يشعر"[٢١]، وقد جرّه هذا الطبع للإساءة إلى الوزير أبي الحسين أحمد بن إبراهيم الغساني، فاجتهد لإبعاده عن منصب الكتابة، فقد كان ابن الأبّار كاتبا لعلامة الصدور في مكاتبات السلطان أبي زكريا، فصرفها لأبي العباس الغساني ليكتبها بالخط المشرقي "فسخط ابن الأبّار أنفة من إيثار غيره عليه، وافتأت على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه، لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه، وأن يبقى موضع العلامة منه لكاتبها، فجاهر بالردّ، ووضعها استبداداً وأنفة، وعُوتِبَ على ذلك فاستشاط غضباً، ورمى بالقلم... فنمي ذلك إلى السلطان، فأمره بلزومه بيته، ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه إليه، عدّ فيه من عوتِبَ من الكتّاب وأعتبه، وسمّاه "إعتاب الكتّاب"، واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له، وأقالَ عثرته، وأعاده إلى الكتابة"[٢٢]، فقد شكّلت علاقتُهُ بالسلطان أبي زكريا الرمزيةَ النسقية الاختلافية، التي ظهرت ملامحها عبر تمثّلات المحبوبة الهاجرة الصادة له في المقدمة الغزلية، يقول:

نَأتْ ومَزارُها صَدَدُ ... فهَل لكَ بالمَعادِ يَدُ
مَهَاةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... فَريسَةُ لَحْظِها الأسَدُ
تَفُوتُ العَدّ قَتْلاها ... وَلا دِيَةٌ ولا قَوَدُ[٢٣]

فتناوُلُ ابن الأبّار لقضية القتل والهجر والصدّ يشي بحالة نفسية كارهة للفعل الثقافي، الذي أزيل على إثره من منصب الكتابة، فتتحوّل المحبوبة الحاضرة مكروهةً غائبةً، في إشارة خفية ذكية من الشاعر إلى تأزّم علاقته بالسلطان، ولذا لا تعبأ هذه المحبوبة بألمه وشكواه:

أتاهـــا أنّنِـــي وَصِـــبٌ كَمَـــا شَـــاءَ الهَـــوى كَمِـــدُ
إذا مـــا النّـــومُ نَعَّمهـــا يُعَـــذّبُني بِهـــا السُّـــهُدُ
فَمـــا عَبَـــأتْ بِمـــا ألْقـــى ولا رَقّـــت لِمـــا أَجِـــدُ[٢٤]

وبسبب من هذا الهجر، يحاول الشاعر رأْبَ الصدع مستشفعا بالأمير المستنصر ابن السلطان أبي زكريا قائلا:

سَـــأعْتَمِد الأمـــيرَ وَهَـــل سِـــوى رُحْمـــاهُ مُعْتَمَـــدُ
وأَقْصُـــد فيـــهِ إسْـــرَافَ الـــ مـــدائِحِ لَسْـــتُ أقْتَصِـــدُ
عَلـــى عُـــذْرٍ بِمـــا أُوْلَـــى مَتَـــى خَصَـــمَتْنِيَ الرَفُـــدُ[٢٥]

وينفتح أفق النص المدحي لدى ابن الأبّار على دلالات متعارضة بين ظاهر النص/ الحاضر، وباطنه/ الغائب، لينشأ الأثر الذي تحدّث عنه (دريدا)، وتنقلب ثنائية المركزي والهامشي، فابن الأبّار يرواغ مستخدما اللغة الشعرية ليحطّم هذه المركزية، ويجعل المركزي/ السلطان أبا زكريا هامشيا، وذلك بنقد حاله معه وهجره له، يقول في إحدى المقدمات الغزلية:

إلى وَعدِها أصْبو وَهل يُنجَزُ الوَعْدُ وما سَئِمَتْ أَسْماءُ مِنْ خُلفِها بَعدُ
سَحِيّتُها في القُرْبِ أن تُخفِيَ النَوى وَعادَتُها في الوَصْلِ أن يَنشأ الصّدُّ
تَعِزُّ عَلى الجانِي وتَعْزُبُ رَوْضَةً فليسَ الأقاحي مُستَرادّاً ولا الوَرْدُ[٢٦]

وتتأكد الدلالة العائمة الغائبة الدالة على الهجر وعدم الوفاء بالوعد والوصال، بإطلاق اسم (أسماء) على المحبوبة في مَعرضِ الحديث عن الوعـود، فأسمـاء متعـددة الأسماء كثيرة الوعود بالوصال لا تسأم من إخلاف تلك الوعود، فهي قريبة حاضرة، ولكنها تخفي النوى غائبة، مما يؤكد دلالتها الغائبـة علـى هجـر السـلطان أبـي زكريـا للشاعر ابن الأبّار رغم كثرة الوعود بوصله، ورفع قدره، ولعل الشاعرَ يُظهـرُ الصـلةَ الغائبةَ/ الحاضرة لثنائية الهجر والمحبة، بذِكْرِ أصدقائه، وذِكْرِ وفاء السلطان لما وعـدَهم به، يقول:

وَرَكْبـاً أفـادَتْني الليـالي وَلاءهُـم ... لهم بالعُلى وَجدٌ وفي سُبلِها وَخـدُ
بفَضْلِ حِجاهم أو بفضلِ خِطابِهم ... يُفـتحُ مُنْسَـدّ ويُفْـرَجُ مُشْـتَدُّ
أجَابُوا إلى الحُسْنى دُعـاءَ خليفَـةٍ ... كَفَى آمِليه الوَعْدَ إحْسَانُه العِـدُّ[٢٧]

ويمكـن للناقـد التفكيكـي اسـتكناه جدليـة الحضـور والغيـاب، بفهـم حالـة الاختلاف التي تبديها المحبوبة في المقدمة الغزلية، إذ يركّز ابن الأبّار على تصوير مشهد حسّي جمالي مادّي للمحبوبة، وهذا ما يبديه حاضر النص الشعري، أما غائبـه فيؤكـد المضامين الأيديولوجية الرافضة لهذا الهجر، وضياع التمتع بتلك المادية الجماليـة، الـتي لوّن ضياعُ منصب الكتابة صبغَتَها، يقول:

مَرْقُـــوم الخَـــدِّ مُـــوَرّدُهُ ... يَكْسُـــونِي السُّقـــمَ مُجَـــرَّدُهُ
شَـفّافُ الـدُّرِّ لَـهُ جَسَـدٌ ... بِأبِـي مـا أَوْدَعَ مِجْسَـدُهُ
فِـي وَجْنَتِـهِ مِـنْ نِعْمَتِـه ... جَمْـرٌ بِفُـؤادِيَ مَـوْقِـدُهُ
وبفيـهِ شِـفَاءُ ظَمَائِـي لَـوْ ... يَدْنُـو لِدَمَائِـيَ مَـوْرِدُهُ
ويَـدينُ بِصـدْقِ اللهْجَـةِ مَـنْ ... إِقْصـادُ المُهْجَـةِ مَقْصِـدُهُ
أَسْتَنْجِـزُ مَوْعِـدَهُ فَيَـرَى ... خُلْفـاً أن يُنْجَـزَ مَوْعِـدُهُ[٢٨]

فظاهر النص يشي بالمحبة، غير أن تفكيك النص اعتمادا على انفتاح الرؤية يدل على غير ما يبدو ظاهراً، فالألفاظ الدالة على غدر المحبوبة (السقم، جمر، ظمائي، خُلْفا) تكشف للقارئ مدى الغدر الذي حلّ بالشاعر في تواصله مع المحبوبة الرمزية/ السلطة السياسية، وبهذا يظهر أثر المكتوب في الكشف عن المخبوء في تضاعيف النص الشعري، وهكذا فإن التفكيكية تحاول الإمساك بالبنية القلقة التي تزعزع النص فتنقضه، مفصحة عما فيه من معانٍ خفية، وهذا ما صرّحت به (سبيفاك Spivak) في مقدمتها لكتاب دريدا (في علم الكتابة)، إذ تقول: "في أثناء قيامنا بفك شيفرة نص ما على نحو تقليدي، لو صادفتنا مفردة يبدو أنها تضمر تناقضاً غير قابل للحل، واستناداً إلى كون مفردة واحدة قد بدا أنها تشتغل أحياناً في النص بكيفية معينة، وأحياناً بكيفية أخرى، ومن ثم تبدو وكأنها في موضع لا يطاله غياب معنى موحد، فإننا نمسك بهذه المفردة، ولو بدا أن مجازاً يطمس على ما ينطوي عليه من تضمينات، فسوف نمسك بهذه المجاز، وسوف نقتفي أثر مغامراته عبر النص، فنرى النص في طريقه إلى أن ينحل من حيث هو بنية إخفاء، كاشفاً لنفسه بنفسه، وكاشفاً عدم قدرته على الحسم"[٢٩]، وهكذا يصل الشاعر إلى شبه بلاغ حقيقي حاضر في خطابه الشعري، ليطلب الصفح عنه والوصال، في حسن تخلّص موضوعي قائلاً:

هَلّا أَوْلى مِنْ قَسْوَتِهِ بَدَلاً بِالْعَطفِ يُؤَكِّدُهُ
وتَقَبَّل مِن يَحْيَى شِيَمَاً تَلْقَى المنجودَ فتُنْجِدُهُ[٣٠]

ويمزج ابن الأبّار في نصه الشعري بين إظهار الخضوع والاعتداد بالذات، إذْ شابَت نبرةُ تحدّس خطابَه الموجه للسلطة الحاكمة، فقد أظهرَ ثقافة استعلائيةً رغم ما يعيشه من هجر، يقول في إحدى مقدماته الغزلية مادحاً السلطان أبا زكريا الحفصي:

حُشَاشَةُ مَهجورِكُم لائنفِصال أما تَتَلافُونَها بِالْوصالِ

قَسَـــوْتُم عَلَيْـــهِ وَقَـــد آنَ أنْ تُلِينـوا قُلُوبـاً لحـرّانَ صَـالِ
وَلَـمْ تُسـعِفُوه وَمِـنْ شَـأنِكُم قِلَـى مـا مَلَكْـتُم لِحُـبِّ السـؤالِ
.....
عَجِبـتُ وَلَسـتُم بَـني وائِـلٍ لِحَـرْبِكُمُ لَقِحَـت عَـنْ حِيـالِ
كَـأنْ لَـمْ أكُـن حِـدْتُكم بِالقبـاب وَلَـمْ أَكُ زَوْرَكُـمْ في الحـلالِ[٣١]

ولعلّ ثقافة الاستعلاء التي اتّصف بها ابن الأبار من القضايا التي ساعدت على إبعاده عن منصب الكتابة لدى السلطان أبي زكريا الحفصي، وهـذا مـا ذكـره حسـين مؤنس في مقدمة تحقيقه لكتـاب الحلّـة السـيراء، إذ يـذكر أن ابـن الأبّـار كـان "شـديد الاعتداد بنفسه دائم الفخر بالأندلس وتفضيله على أفريقية، قال ابن خلـدون: "وكـان في ابن الأبّار أنفة وبأو وضيق خلق"، ومن هنا زهد فيه أبـو زكريـا الحفصـي وأراد أن يبعده عن ديوانه، وأيده في ذلك أبو الحسين أحمد ابن إبراهيم الغساني"[٣٢]، والدلالات الحاضرة الغائبة في نصـه الشـعري تجعـل الـنص أشـبه بمتاهـة مخاتلـة، إذ يـزاوج بـين التصريح الحاضر والتلميح الغائب لمضمر نفسه الخفي، قائلاً:

أَلَسْـتُمْ سـرَاةَ بَـني عـامِرٍ غُيـوثَ النّـدى ولُيُـوثَ النِّـزالِ
ودَأْبُ المُلـوكِ إذا أَدَبَّـتْ بِهجْرانِهـا جُودُهـا بـالنَّوالِ
فكَيـفَ حَـرَمْتُم ضُـيوفَ الهَـوَى وَرِفْدُ الأَخِـلاءِ أسـنَى الخِـلالِ[٣٣]

فقد سعى بكل وسائله التعبيرية الشعرية إلى اسـتعطاف أبـي زكريـا الحفصـي، واسترضائه مستشفعا بولي عهده، حيث صوّر مشهد رحيل المحبوبة في المقدمة الغزليـة تصويراً مؤلماً حزيناً، فقد جعل من المحبوبة مكوناً جدلياً لحالة الهجر، التي أبداها تجاهه السلطان، يقول:

جَلَداً خَلِيلِـي مـا لِنَفْسِـكَ تَجْـزَعُ آنَ الرَّحيـلُ فـأَيْنَ منـهُ المَفْـزَعُ

عَمَدُوا لِتَقْـويضِ القِبَـابِ فَعِنْـدَهَا ... أرْبَتْ على صَوْبِ الرَّبَابِ الأَدْمُـعُ
لَّـا بَكَيْـتُ بَكَـى يُسَـاعِدُنِي الحَيَـا ... فَدُمُوعُـهُ مِـنْ رِقَّـةٍ لِـيَ تَهْمَـعُ
أَشْـدُو بِـذِكراكُم وأَنْشِـجُ لَوعَـةً ... وكَذا الحَمَامَةُ حينَ تَنْـدُبُ تَسْـجَعُ
يَـا بَـرْحَ شَـوْقِي لِلـذينَ تَحَمَّلُـوا ... وأَقَـامَ حُـبُّهُم بِقَلْبِـي يَرْبَـعُ[٣٤]

وبتفكيك نص ابن الأبّار الشعري وإعادة بنائه، تظهر فكرة الدلالة المختلفة من خلال فكرة (اللعب) التي طرحها (دريدا)، حيث يراوغ النص بين المحبوبة الحاضرة لفظياً في النص ودلالاتها الغائبة في أنساق المقدمة الغزلية، لتتحوّل المحبوبة الراحلة إلى فكرة لا متناهية، تشي بقطع الصلة بين ابن الأبّار والسلطة الحاكمة، ودليل ذلك حسن تخلُّصه، الذي انتقل عبره من المقدمة الغزلية نحو المدح، يقول:

أُخْفِي سُؤالي لَو شُفِيتُ إجابَةً ... مَا لِي وَما لِلْبَيْنِ بي يتَوقَّعُ
أأنا المُرَوّعُ حَيْثُ كنتُ بهَوْلِهِ ... أَمْ لي بهِ مَثَلٌ كَذَاكَ يُرَوّعُ
لَمْ أدْرِ سَاعَةَ أَزْمَعُوها نِيَّةً ... مَحْيَايَ أَمْ يَحْيَى الأَميرَ أُوَدِّعُ
مَلِكٌ علَى الأَقْدارِ خِدْمَةُ أَمْرِهِ ... فَقَصِيُّ ما يَسْمُو إلَيْهِ طَيِّعُ[٣٥]

ولعل في تكرار ابن الأبّار لفكرة المحبوبة القاتلة المنكرة لدمه - رغم وفائه له - ما يدل على أن نصه محمّل بدلالات غائبة، دالة موحية بنقد مضمر وسخط على سياسة السلطة السياسية في تعاملها معه، ففي إحدى مقدماته الغزلية، يذكر قتل المحبوبة لعاشقها بدمٍ باردٍ، قائلاً:

أَتَجْحَدُ قَتْلِي رَبَّةُ الشَّنْفِ والخُرْصِ ... وذَاكَ نَجِيعِي فِي مُخَضَّبِهَا
تَوَرّسَ مَا تَعْطُو بِهِ مِنْ عَبِيطِهِ ... كَمَا طَلَعَ السّوسَانُ فِي صِبْغَةِ
وَتَسْفِكُهُ وَهوَ المُحَرَّمُ سَفْكُهُ ... حَلالاً كَأَنَّ الظُّلْمَ لَيْسَ لَهُ

فالنسقية الضدية الخفية تُظهِرُ في نصه خلاف ما يبطن، وقد كان التحوّل من المقدمة الغزلية نحو المدح مفتاحاً لفهم جدلية الاختلاف الدلالي في نصه، إذ يقول:

كَـأَنَّ جَنَاهَـا مِـنْ جَنَـى العَـيْشِ بَعْـدَهَا
لِيَحْيَـى بْـنِ عَبْـدِ الوَاحِـدِ بـنِ أبِـي حَفْـصِ
إمَـامٌ أجَـارَ الْحَـقَّ لَمَّـا اسْـتَجَارَهُ
وقَـدْ رَسَـخَ الإذْعَـانُ لِلْغَمْـطِ والغَمْـصِ(٣٧)
وهَـبَّ هُبُـوبَ المَشْـرَفِيِّ مُصَـمِّماً
لِتَـأمِينِ مـا يَخْشَـى مِـنَ الـوَقْمِ والـوَقْصِ(٣٨)(٣٩)

فالحديث عن الاحتقار (الغمص) والقهر (الوقم) والعيب (الوقص) في سياق المدح، يدلّ على مراوغة ذكية من ابن الأبّار في تحوّل المدح إلى نقد خفي، ولعل تفكيك النص وإعادة بنائه بما يخدم البنية العميقة الغائبة يُظهِرُ الأثر الدلالي العائم في النص، وهو النقد الخفي لواقع السلطة السياسية الحاكمة ممثلة بالسلطان أبي زكريا الحفصي، وهذا التقصي للدلالة الغائرة في باطن النص اعتماداً على سياق الألفاظ، يدل على ما أورده الباحث، فالنص نسيج مركب من إشارات وتعبيرات متداخلة تستدعي التفكيك لبلوغ المعنى الجيولوجي للألفاظ الكاشفة عن وجود طبقات مترسبة، ينبغي نحتها وإزالتها، وهي "منسوجة ومتشابكة، بحيث يتعذر الكشف عن لُحْمَة النسيج والسلسلة فيها"(٤٠).

وتبدو صورة المحبوبة المحمية المحرَّمِ وصالها مشوبةً برمزية خفيّة في مقدمات ابن الأبّار الغزلية، فالحضور المرئي في نصه هو وصال السلطة السياسية ممثلة بالسلطان أبي زكريا، في حين أن الغياب المتخفيّ يُظهر حقيقة الانفصال المتشكّل بفعل الرقيب الاجتماعي/ الواشي، الرافض لاستمرارية الوصال، ولعلّه كما ذكر الباحث سابقاً

يتمثّل حقيقة في حنق الوزير أبي الحسين الغساني عليه، فابن الأبّار يتمنّى وصال المحبوبة/ السلطان أبي زكريا، ويرى أن حماةً تلك المحبوبة يمنعونه من ذلك، واصفاً إيّاهم بأنهم كالردى، يقول:

مُهَجٌ تُساقُ إلَى الرَّدَى فَتُشَاق   مَا لا يُطَاقُ يُكَلَّفُ العُشَّاقُ
للَّهِ مِنْ فَرَقٍ أَبادَ دَمَاءهُمْ   هَجْرٌ أَباحَ دِمَاءَهُمْ وَفِرَاقُ[41]

ويشير إلى استحالة الوصول للمحبوبة، قائلاً:

مِنْ دُونِها حُجُبٌ غلاظٌ دُونَها   قُضْبٌ صَقِيلاتُ المُتُونِ رِقَاقُ[42]

ويُظهِرُ تلك القوة الاجتماعية الرافضة وجودَه في ديوان السلطان، وكأنها تطلب الثأر منه وسفك دمه إن حاولت الاقتراب:

نَذَرَتْ دَمِي قَبلَ اقْتِراحِ عِنَاقِها   فِئَةٌ لَهَا نَحوَ الأَذَى إعْنَاقُ
لَم تَدْرِ أَنِّيَ في جِوَارِ خَليفَةٍ   بِيَمينِهِ الآجَالُ والأرْزاقُ[43]

والدلالات المختلفة المفككة في الأبيات السابقة تؤكد غضب ابن الأبّار من تصرّف السلطة السياسية تجاهه، إذ كيف لها أن تنصت لأولئك الوشاة الذين حرموه من وصالها، ومن منصبه الذي حظي به لديها، وإن لم يعلن ذلك صراحة، ولكنه ظهر في أنساق شعره وسياقاته الخفية، ولعل ما جرى لابن الأبّار ما هو إلّا "حلقة من حلقات الصراع بين الأندلسيين المهاجرين وشيوخ تونس من موحدين وغير موحدين، بل حلقة من صراع هؤلاء المهاجرين الأندلسيين مع شيوخ كل قطر نزلوه وعلمائه، فقد كان الأندلسيون يحسّون أنهم أعلم من غيرهم وأقدر، ومن ثَمّ فهم أولى بالتكريم وبالمناصب"[44].

ويلهج ابن الأبّار بذكر قسوة المحبوبة وهجرها، وذلك بذكر أدوات قتلها التي أعملتها في قلبه، قائلاً:

أَمَّا الكثِيبُ فَمَا يُطَارُ حِمَاهُ ... مِنْ دُونِهِ تُجْرِي الدِّماءَ دُماهُ
لَوْلا حَيَاءُ الحَيِّ مِنْ أَكْفَائِهِ ... لَكَفَاهُ سِحْرُ جُفونِهن عِدَاهُ
مَا بَالُهُ أَنهَى الأَسِنَّةَ وَالظُّبَى ... وَعَلَى المَطِيِّ ظِبَاؤُهُ وَمَهَاهُ
بِيضُ الأَنامِلِ قُنِّيتْ بِخِضَابِها ... تُغْنِي غَنَاءَ مُخَضَّبَاتِ قَنَاهُ
وَعُيُونُهُن السَّاحِياتُ قَوَاتِلٌ ... ما لَيسَ تَقْتُلُ ماضِيَاتُ ظُبَاهُ(٤٥)

ويبدو أنه قد قال قصيدته المدحية هذه لأبي زكريا الحفصي بمناسبة العفو عنه، ولكن القراءة التفكيكية الثقافية تُظهِرُ ظلال الغياب العميقة الغائرة في جسد النص الشعري؛ لينفتح المدلول على خاصية القراءة المستمرة في تحاورها مع القارئ، وينسلّ نسق الغدر والهجر المختلف عن ظاهر النص الدال على المحبة، فيخاطب المحبوبة مشيراً إلى عدم صدق محبتها في وعدها له، قائلاً:

يَا أخْتَ مَنْ فَخَرَتْ عَمَائِرُ عامِرٍ ... وَسَرَاتُها بِالقُربِ مِنْ قُرباهُ
لا أَنْتِ زُرْتِ وَلا خَيالُكِ في الكَرَى ... حَتَّى لَقَد هَجَر العَمِيدَ كَراهُ
وَاهاً لِقَلبِكِ لا يَرِقُّ ورُبَّما ... رقَّ الجمَادُ بفَرْطِ ما عنَّاهُ(٤٦)

فسياق النص الشعري لا يوحي بالرضا التام رغم العفو عنه، وهذا ما بدا في عباراته: (لا أنتِ زُرْتِ/ هجرَ العميدَ كراهُ/ قلبك لا يرقُّ) إذ يشعر ابن الأبّار باستمرارية هجر السلطان أبي زكريا له.

ويمكن تلخيص جدلية الهجر المبطن والمحبة الحاضرة كما في الترسيمة الآتية:

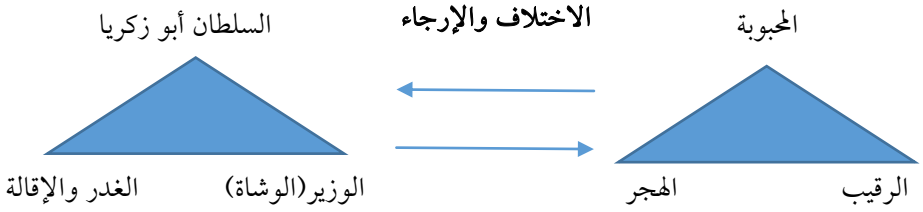

الدلالة الظاهرة الحاضرة **الدلالة الغائبة المختلفة**

فهذه الترسيمة تظهر الرؤية النقدية التفكيكية لتموضعات المحبوبة في المقدمة الغزلية، فقد أدّى اختلاف ظاهر النص عن باطنه إلى معاني مرجئة يمكن توليدها توليداً لا نهائياً، وهذا ما تنطلق منه القراءة التفكيكية، حيث مثّلت المحبوبة جدليةً لهجر السلطان أبي زكريا وصدّه عن ابن الأبّار، كما مثّل حماةُ المحبوبةِ الوشاةَ المحيطين بالسلطان، والذين شكّلوا عائقاً ثقافياً أغرى السلطان بإقصاء الشاعر، وهذه القراءة تهدم المعنى الظاهر للنص وتعيد بناءه من جديد، مستغلة أفق القارئ المختلف ليؤول الدلالة ويعيد تركيبها.

الجدليّة الثانية: جدليّة الطموحات الغائبة والمكانة الضائعة:

إن القراءة التفكيكية للمقدمة الغزلية في شعر ابن الأبّار تمنح القارئ سلطة قوية، وتقتل أحادية الدلالة داعية إلى تشظّي المعنى الحاضر، مانحة القارئ دلالات خفية غائبة، حيث يجد الباحث أن دلالات المحبوبة الحاضرة في النص الشعري لا تقف عند المعنى الحاضر المحصور في حالة المحبة، بل إن تلك الدلالات تتشظّى؛ لتظهر الغائب في نصه، والمتمثل في تشكيل حالة الطموح والمكانة الرفيعة الضائعة لدى السلطة السياسية، التي اتّصل بها في أفريقية وفي الأندلس، كما أن هذه الدلالات الغائبة قد أبرزتها ثنائية الجذب والطرد في مقدماته الغزلية، فقد ظهرت المحبوبة ظهوراً

جاذباً في مقدماته الغزلية، كظهورها بصورة المحبوبة الآسرة الجمال، وكتمثيله لها بوصفها أيقونة أدبية، تساهم في كسب المال والجاه لدى الممدوح بحكم سلطة الثناء، التي تبنّاها في خطابه الحكّامَ السياسيين، ومن ذلك قوله مبرزاً فتنة جمالها المادي:

بِهـا فَـتَنَ الأَلْبـابَ حُسْـنُ مَنَـاظِرٍ لَهَـا طُـرَرٌ سُـحْمٌ لهـا غُـرَرٌ زُهْـرُ
ولـينُ قُـدُودٍ يُوجَـدُ النَّـوْر والجَنَـى لَدَيْها ولكِن يُعدَمُ العطفُ والهَصْرُ(٤٧)

وقد وصف جمالها الجسدي بالفتنة، فالمكانة التي يصبو لها لدى السلطان أبي زكريا، فيها من الجمال الجاذب ما يجعلها فتنة قد تودي بحياته، وهذا ما حلّ بالشاعر في آخر حياته، يقول:

لَـمْ أَفْـنَ فِيمَـا أرَى ولَكِـن بِمـا أَرانِـي الجَمَـالَ أفنَـى
يـا فِتْيَـةَ الحَـيِّ مِـنْ سُـلَيْمٍ فَتَـاتُكُم فِتْنَـةُ المُعَنَّـى
تُطْلِـعُ مِنْهَـا الخُـدُورُ شَمْسـاً كَمَـا تُكِـنُّ البُـرُودَ غُصْـنا
عَـنَّ بِبَـدْرِ السّـماءِ تِمـاً إن وَجْهُهـا للْعُيـونِ عَنَّـا(٤٨)

وقد ذكر صفاتها الجسدية الفاتنة ذكراً صريحاً في قوله:

هَيْفَـاءُ لم تـنهَض بِخصْـرٍ أهْيَـفٍ إلا وَنَـتْ رِدْفـاً يَنُـوءُ رَدَاحـا
خَصْـراً إذا مَـازال عَنْـهُ وشـاحُه تَبَتَـتْ دَوائِبُهـا علَيـهِ وِشَـاحا(٤٩)

وينفتح التأويل لدى الناقد التفكيكي الثقافي اعتمادا على فكرة الاختلاف والإرجاء التي قال بها (دريدا)، ليستقر على معانٍ كثيرة في مقدمة الشاعر الغزلية، فالمحبوبة في المقدمة الغزلية أدّت دوراً كبيراً في إخفاء لاوعي الشاعر الغائب بين تضاعيف لغة النص الشعرية، إذ مثّلت الطموح الصعب والمكانة الغائبة، والتي شبّه صراعه لأجلها بالحرب، وإدلالها عليه بالقتل، فالنَّيْلُ منها لدى السلطان الحفصي ليس من السهولة بمكان، إذ هي محفوفة بالمخاطر المهلكة، يقول:

مـا ضَـرّ قَاتِلَـة النُفـوس بِـدَلّها	أَلا تُقلــدَ مــن سِــواه سِــلاحا
لَم تُرسِل الطّـرفَ المُعَلَّـمَ صَـيدُها	إلا استَباحَ الأصْيَد الجَحْجاحا[٥٠]
بِـأَبي الـتي نَهَـدَتْ لِحَرْبِـيَ ناهِـداً	في السِّلْم تَعْتَقِلُ الثدي رِماحـا[٥١]

ولذا اختتم هذا النص الشعري ذاته شاكراً الأمير على إنجاز وعوده له ظـاهراً، غير أن صفات المحبوبة الآنفة الذكر تشي بغير ذلك، فالمضـمر النسـقي الغائـب نصـه الشعري يدل على عدم الرضا، رغم شكره الصريح للسلطان، يقول:

عِيــدٌ بإِنْجــازِ الوُعُــودِ مُبَشِّــرٌ	مَـا انْحَـازَ مِنْهَـا جَانِبـاً وانْزَاحـا
إنَّ الأمِــيرَ وخُلِّــدَت أيّامُــهُ	وَسعَتْ سَعَادَتُه الوجـودَ صَـلاحا
جُعِـلَ الزمـانُ بِـه رَبيعـاً كُلُّـهُ	فَجَعَلْتُ رَيْحَاناً حُـلاه وَرَاحـا[٥٢]

فَرِضَى الشاعرِ وإن تزيّا بثوب الشكر، إلا أنـه لا يـدل علـى ذلـك في النسـق المضمر، وهذا ما يشكل ثنائية الاختلاف والإرجاء للمدلولات، وذلك بزعزعة البنيـة اللغوية التي تسمح للنص بأن يفكك ويُعادَ تركيبه تبعاً لرؤيـة القـارئ المختلـف، مما يجعل من النص أفقاً مفتوحاً على التأويل المستمر "وإذا كان الاخـتلاف عنصـر تثبيـت الدلالة، فالتأجيـل عنصـر تفكيكهـا، إن التأجيـل يعـني عمليـةً مسـتمرةً مـن تأجيـل الدلالة... والتفكيك يصل في نهاية المطاف بسـبب تلـك المراوغـة والتأجيـل المسـتمر للدلالة إلى أن اللغة هـي مجموعـة مـن الـدوال فقـط، فكـل دلالـة تشـير إلى مـدلول يراوغها، ويشير هو الآخر إلى مدلول ثان، فيتحول بذلك إلى دال، وهكذا التأجيل هو محور اللعب الحر في المنظور التفكيكي"[٥٣].

ويبدو أن ابن الأبّار قد شغله طموحه ورغبته في المكانة الرفيعة قبـل أن يتّصـل مع صاحب تونس أبي زكريا الحفصي، إذ يجـد الباحـث قصـيدةً وحيـدةً لـه مُفتَتَحَـةً

بمقدمة غزلية، مدح فيها حاكم شاطبة أبي الحسين يحيى الخزرجي، وذلك بعد عودته من بلاد النصارى، يقول واصفاً فتنتها وجمالها:

رَأَى مِنْهـا قَضِـيباً مِـنْ لُجَـيْنٍ ... يَجُـرُّ الوَشْـي لا مِـنْ خَيْـزُرَان
وَشَمْسـاً مَـا تَـوَارَت في حِجَـاب ... بِغَيْرِ الصَّـوْنِ قَـطُّ وَلا صِـوانِ[٥٤]

وقد رأى ابن الأبّار أن هذا الجمال المادي/ المكانة/ الطموح يمكن له أن يظفر به، ذلك أن سلطة الثناء/ الشعر قد تمكّنه من التمتّع بذاك الجمال، وهذا ما أشار إليه في أبياته الشعرية المدحية:

رَغَائِبُ يُسْـدِيهَا السَّـماحُ غَوَائِـبٌ ... أَكَلَّتْ جِيادَ الشِّعْرِ إِذْ رَحُبَتْ شَأْوَا
وَقَتْنِيَ مِنْ شَـكْوَى الزَّمَـانِ وَدَمّـهِ ... فَمَا لي غَيْـر العَجْـزِ عَـنْ شُـكْرِهَا

فطموحه المالي/ الوظيفي (الرغائب) أتعب من أجله خيولَ شعره (أكَلّتْ جيادَ الشعر)، وقد ألمح بوضوح إلى أن المحبة والغزل لا يعنيانه في شيء، بل إن الطموحات هي همه الشاغل، وهذا يؤكد فكرة الرمزية الدلالية التفكيكية للمحبوبة الحاضرة، إذ شكّلت قناعاً ثقافياً للدلالة على طموحاته في الحصول على مكانة رفيعة، فهو يقول:

أَشِـدْ بِـالقَوَافِي ذِكْـرَ علْـوَةَ أَوْ عَلْيَـا ... وَدَعْ لِلسَّـوافِي دارَ مَيَّـةَ بِالعَلْيَـا
لِكُـلٍّ مِـنَ العُشَّـاق رَأْيٌ يُحِلُّـهُ ... وَإِنْ جَالَ فِي الأَحدَاق مَا يُبْطِلُ الرَّأْيَا
أَلَـمْ تَرَهـا عَيَّـتْ جَوابـاً ولَـمْ يَجِـدْ ... مُسـائِلُها إِلا الأَوارِيَّ[٥٦] وَالنُّؤْيَـا[٥٧]

وبالقراءة التفكيكية تُجْسرُ الهوة بين ما يصرّح بـه الـنص ومـا يخفيـه، فالمعـاني الحاضرة والدلالات الغائبة تتضح رمزيتها، فالمحبوبة الحاضرة/ المكانة الغائبة هـي مـا يحوك الشاعر لأجله شعره، ولذلك تتضخم لديـه الـذات الشـاعرة في مقابـل الـذات المانحة، يقول متخلصاً من الغزل إلى المدح:

وَشُكْرُ أَبِي يَحْيَى الأَمِيرِ أَحَقُّ بِي ... وَإِنْ عَزَّنِي شُكْرُ الأَمِيرِ أَبِي يَحْيَى
هُمام إِذَا ابتَاعَ الثَّنَاءَ بِمَا حَوَتْ ... يَدَاهُ فَمَا يَخْشَى مُبَايعُه ثُنْيَا
تَرَعْرَعَ بَيْنَ البَأْسِ والجُودِ مِثْلَما ... تَبَحْبَحَ فِي المَجْدِ المُؤَثَّلِ وَالعَلْيَا[٥٨]

فلِمَ اختار ابن الأبّار الحديث عن (ابتياع الثناء) مدخلا للمدح؟ حتما لأنها القضية الرئيسة التي من أجلها صاغ مدحه الشعري، ومما يؤكد ذلك إنهاؤه نصه الشعري متحدثاً عن القضية ذاتها، وإن أشار إليها بمفردات مرادفة (لُهاه/ ريّا/ سماح/ التجويد/ رُعيا/ كلاءة)، يقول:

كَأَنَّ لُهاهُ لِلثُّرَيَّا وَيَوْمِهِ ... فَعُودِي بِها نَضْرٌ وَأَرْضِي بِها تَرْيَا
سَقَانِيَ رِيّاً بَعْدَ رِيٍّ سَمَاحُهُ ... فَيَا حَبَّذا السَّاقِي وَيَا حَبَّذَا السُقْيَا
وَصَيَّرَ لِلتَّجويدِ جَدْوَاهُ مبدَأ ... وَقَدْ بَلَغَ الإفحَامُ غَايَتَهُ القُصْيَا
وَخَوَّلَنِي رُعْياً بِها وَكلاءةً ... فَخَوَّلَهُ اللَّهُ الكَفاءةَ وَالرَّعْيَا[٥٩]

أما العوامل الطاردة التي جعلت من المحبوبة الرمزية مراما صعب الوصول إليه، فهي فكرة الألم المتحصل من حالة الحب وغرور المحبوبة، إضافة إلى العوامل الاجتماعية المانعة للوصال، ومنها قضية الرقيب الاجتماعي، وأخيراً قضية التعقل والحكمة في التفكير تجاه المحبوبة الممنوعة الوصال.

أولى العوامل الطاردة للمحب عن محبوبته، الألم المتحصل من هذه المحبة، إذ كثر لدى ابن الأبّار في مقدماته الغزلية الحديث عن الألم والموت والضر الذي لحق به من المحبوبة، ويشابه ألم المحبة ألم القتال والحروب، يقول:

تُهابُ السُّيوف البيضُ والأُسُل السُمْرُ
وأقْتَلُ مِنْهُن الغَلائِلُ والخُمْرُ

أمـــا تِلْـــك صَـــرْعاها تَعِـــزُّ نَجَاتُهـــا
وَكَـمْ قـد نَجـا مَـنْ يصْـرَع الـدّعْس والهَبْـرُ[٦٠]

وقد أعلن صراحة أن فعله الثقافي الذي تمحور حول المكانة والطموح قـد جـرّ حتفه، وكأنه تنبّأ بنهايته، فقد قُتِلَ على يد المستنصر ابـن يحيـى المرتضـى الـذي تـولّى الحكم بعد والده، وذلك "لأنه تخيّل منه الخروج وشقّ العصا، وقيل إن بعـض أعدائـه ذكر عند صاحب تونس أنه ألّف تاريخاً، وأنّه تكلّم فيه في جماعـة"[٦١]، ويبـدو أن هـذا الكتاب فيه ما يمسّ دولة الحفصيين في تونس، إذ يذكر المقّري أنه قد كان لابـن الأبّـار كتاب في التاريخ، وبسببه قتله صاحب أفريقية[٦٢]، يقول ابن الأبّـار مستشـعراً خطـر الطموح/ المكانة، التي جرّت عليه كثيراً من الآلام وربما الموت:

تَعَـالَى اللَّـه طَرْفِـي جَـرَّ حَتْفِـي لأَحْصُلَ مِـنْ هَـوَايَ علَـى هَـوَان
وأَيَّـامي هَـدَمْنَ مُنِيـفَ سِـنِّي وهُـنَّ لِعُمْرِهـا كُـنَّ البَـوَانِي[٦٣]

والباحث يخالف الرأي القائل بأن ذكر أدوات الحرب والهلاك في مقدمات ابـن الأبّار الغزلية، دليل على التشوق للمعارك الحربية التي تُحَرّرُ بها الأندلس، وأن مـزج المقدمات الغزلية بأدوات الحرب لديه "وكأنه الشـوق للمعـارك بـات يؤرقـه، ويطـارد خياله، لأن هذه الحرب هي الوسيلة الوحيدة التي تعيد أيامه الحلوة في بلنسية، وتسمح له بأن يلتقي من جديد مع أهله"[٦٤]، فأدوات الحرب والقتـل شـكّلت عوامـل طـاردة لابن الأبّار تمنعه من بلوغ مرام نفسه وطموحاته لدى السلطة السياسية، ولم تكن دليلاً على تشوّقه للحروب والجهاد، فالأندلس لم تمثّـل هـاجس الشـاعر الوحيـد، وإلّـا لمـا ارتضى تركها أولاً مع الحاكم الهارب، ملتجئا لدى ملك أراجون خايمي الأول، فـأبو زيد حاكم بلنسية انضوى تحت حماية ملك أراجون" وعقد معه معاهدة يتعهد فيها بـأن يسلّمه جزءاً من البلاد والحصون، التي يستردّها بمعاونته، وكيف انتهى بـه الأمـر بـأن

يعتنق دين النصرانية، واندمج في القوم الذين لجأ إلى حمايتهم"[٦٥]، مما يؤكد صحة ما ذهب إليه الباحث من أن هذا الألم وما يتبعه من تذكُّر لأدوات الحرب والقتال ما هو إلا قناع للمحبوبة الرمزية، الدالة على الطموح والمكانة، ولعل مما يزيد في خيالية هذه المحبوبة القاتلة، ربطَها بالثقافة المشرقية، يقول:

وَعُلّقْتُ أَعْرابِيَّةً دارُها الفَلا
تَصيفُ علَى نَجْدٍ وَتَشْتُو علَى حُزْوَى
مُعَوَّدَةً سَبْيَ النفُوسِ وَقَتْلَها
وَمَا عَرَضَتْ جَيْشاً وَلا عَرَفَتْ غَزْوَا[٦٦]

وقد ذكر بعضها صراحة كذكره العُذّيب وبارقٍ[٦٧]، فالمحبوبة الخيالية/ الطموح والمكانة هي من تروي ظمأه للمكانة الرفيعة، يقول:

كَمْ بارق بَيْنَ العُذَيب وبارق ... يبْدو لَزنْدِ صَبَابَتي قدّاحا
هَجَع الخَليُّ بِهِ وبِتُّ مقلّباً ... طَرْفاً إلى إيماضِهِ طَمّاحا
كَلِفاً بأيّامٍ سَلَفْن خِلالَها ... خَلَّفْنَ ذِكْرَ عُهُودِها نَفّاحا[٦٨]

وقد ربط ابن الأبّار بين غرور المحبوبة وحالة الألم والعذاب، الذي يعانيه المحبوب بسبب هذا الغرور ليستشعر القارئ مأساة الشاعر، ويتعاطف معه:

شتّان بَينَ مُجَرِّر لِذُيولِهِ ... طَرَباً وبَيْنَ مُمَزّقٍ لِجُيوبِهِ
ومِنَ العَجائِبِ أن يَتمّ تَمَتُّع ... لأخي هَوىً بأَنيقِهِ وعَجيبِهِ
كانَت مَتَاعاً لَوْ يَدومُ وإنّما ... ضَحِكُ الزمانِ ذريعَةٌ لِقُطوبِهِ[٦٩]

فلو كانت الحالة التي يحياها ابن الأبّار حالة محبة حقيقية، لَتَركَ المحبوبة التي ارتضت غيره وتكبّرت عليه، ولكنها محبوبة من نوع آخر، والكل طامع فيها رغم

رفعتها وكبريائها، ولذا كان التلوّن والتبدّل في حال المحبوبة، وهـذا مـا حـلّ بالشـاعر حينما أقصاه الحاكم الحفصي عن منصبه، وأشاح عنـه، إذ ضـعفت مكانتـه وتـوارت طموحاته لدى المستنصر الحفصي، فقـد" كـان السـلطان لا يطيـق النظـر إليـه، فكـان يستفتيه فيما يريد من بعيد، فإذا دخل عليه لم يكلّمه أو يلتفت إليه"(٧٠).

ويبـدو أن سـفك المحبوبـة وصـدّها قـد ازداد بازديـاد قـوة تـأثير الرقيـب الاجتمـاعي/ الواشـي، الـذي شـكّل مانعـاً طـارداً لـدوام الوصـال، فقـوة العـاذل الاجتماعية وتأثيرها على السلطة السياسية في دولة الحفصيين بتونس، قد عملت على إضعاف علاقة ابن الأبّار بدولة الحفصيين، وما مَزْجُ الشاعر بين حالتي الحب والحرب إلا دلالة ثقافية رمزية على ما ذهب إليه الباحث من أن هذه المحبوبـة الحاضـرة تحمـل أثراً غائباً، يدلّ على المكانة الضائعة، يقول:

عَـذلُوهُ في تَشْـبيبِهِ ونَسـيبِه ... مـن ذا يُطيـقُ تَنَاسِـياً لحَبيبِـهِ
ومَضَـوْا عَلـى تَأنيبِـهِ وبِحَسْبِـهِم ... تأبِينُـه مَحيـاهُ في تأنيبِـهِ
أو ليسَ من خَضَبَ البيـاضَ مُمَوّهَـا ... كَصَـريعِ مُشْـتَجرِ القَنـا وخضـيبِهِ(٧١)

وبتفكيك النص الشعري المحمّل بالدلالات الغائبـة المتواريـة في عمـق الـنص، يتبدّى أن ابن الأبّار حاول نسيان المحبوبة/ الطموح الرفيع، بإقامة توازن نفسي لإراحة نفسه من شقاء بلوغ الطموح، غير أن ذلك لم يجدِ نفعاً، يقول:

دَجَـا مـا بَيْنَنـا فَمَتَـى وحَتَّـى ... يُـنِيرُ وفِـي إجَابَتِهـا تَـوانِ
وقُلْـتُ أُخِيفُهـا لِتَكُـفَّ عَنِّـي ... فقالَـت لِـي يُقَعْقَـعُ بالشِّـنانِ
فَكَيْـفَ تَـرَى وَقَـد شَـبَّتْ وغَاهـا ... أَأُقْـدِمُ أم أفِـرُّ مَـعَ الهَـوَانِ(٧٢)

والشاعر في تحوّله من الغزل نحو المدح يظهر المضمر النسقي الغائب، إذ هو يلتجئ إلى حاكم شاطبة لينتصر له من ظلم الزمان، وينيله طموحاته الغائبة، ويردّ له مكانته المغيّبة:

إذا لَمْ أَلْقَها بِعُلَى ابْنِ عيسَى ... وحَسْبِيَ مِنْ حُسَامٍ أَو سِنَانِ
فَلَسْتُ مِنَ الإِيَابِ عَلَى يَقينٍ ... وَلَسْتُ مِنَ الذَّهابِ عَلَى أمَانِ
فَإِنَّ أَبا الحُسَيْنِ يَنَالُ مِنْهَا ... مَنَالَ الذُّعْرِ في قَلْبِ الجَبَانِ
يُنَهْنِهُهَا مَتَى نَهَدَتْ لِحَرْبِي ... وَيَأْخُذُ لِي الأَمَانَ مِنَ الزَّمانِ(٧٣)

فالنص مليء بالدلالات المتوارية، والتي تبدو في بعض إشارات النص الحاضر، فحاكم شاطبة أبو الحسين ينتصر للشاعر ويوليه الأمان (يَأْخُذُ لِي الأَمَانَ مِنَ الزَّمانِ)/ يبلّغه مكانة رفيعة، وأبو الحسين ينال من المحبوبة (ينالُ منها)، وفي ذلك دلالة أن أمر المحبوبة بين يديه، أي أن قضية منح الشاعر مكانة رفيعة أمر عائد له، ولعل الشاعر حينما مدحه بكرمه الذي أولاه إيّاه مقابل شعر الشاعر، يدل على ما وصل إليه الشاعر من مكانة رفيعة لديه، يقول:

يُقَيِّدُ في مَنَائِحِهِ جُفُونِي ... وأُطْلِقُ في مَدائحِهِ عِنَانِي(٧٤)

ويخلص الباحث إلى أن الدلالات التفكيكية المرجئة في مقدمة ابن الأبّار الغزلية، قد جاءت في بعض قصائده المدحية دالة على الطموح الغائب، والذي توارى خلف قناع المحبوبة الحاضرة، رغم التأرجح النفسي الذي عاشه الشاعر، بسبب العوامل الجاذبة والطاردة في خط سيره الذي ارتضاه ليبلغ رضا المحبوبة/ الفوز بما طمح إليه، حيث كانت الصعوبات/ الموانع أكثر من العوامل الجاذبة، لكنه رغم ذلك أصرّ على نيل هذه المكانة/ الطموحات، والخطاطة الآتية توضح ذلك:

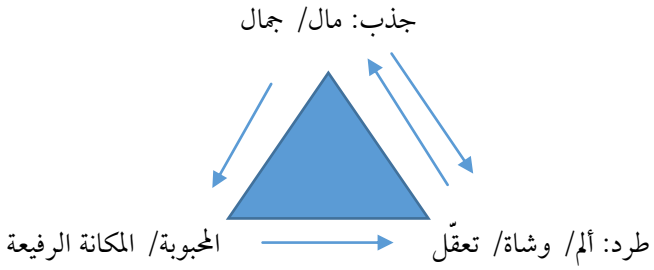

الاختلاف/ الإرجاء

وتبعا لذلك فإن النص المختلف/ المكتوب قد تنقّلتْ دلالته من صورة لأخرى في نص ابن الأبّار، حيث أبان فيه عن طموحاته التي لم تُحقَّق، وتمثل الاختلاف في تباين المعنى السطحي للنص/ المحبة، عن باطنه الخفي/ الطموحات الضائعة، التي توسّلت بالشك في ظاهر النص منطلقاً لها، وهذا ما عناه (دريدا) بقوله: "إن المسألة مسألة انتقالات موضعية، ينتقل فيها السؤال من طبقة معرفية إلى أخرى، ومن معْلَمٍ إلى معْلَم حتى يتصدّع الكل، وهذه العملية ما دعوته بـ التفكيك"(٧٥).

الجدلية الثالثة: جدلية العهود الغائبة وبنية الاستشفاع:

تتواشج المقدمة الغزلية في مضمونها النسقي الخفي مع بنية القصيدة المدحية، وتندغم لتؤلف بعداً نفسياً يتوارى خلف قناع اللغة الجمالي، فتظهر امتدادات دلالاتها الرمزية واندماجها مع بنية المدح، فقد شكّلت المحبوبة في قصيدتين مدحيتين جدلية لفكرة العهود والمواثيق، التي منحها ولي العهد أبو يحيى بن أبي زكريا الحفصي لابن الأبّار بإصلاح حاله مع السلطان أبي زكريا، وقد كان المراد من تلك القصيدتين الاستشفاع له عند والده الحاكم، ولذلك ظهرت المحبوبة في المقدمة الغزلية ظهوراً إيجابياً يتصف بتواصليتها مع المحب، وأنها تبادله المحبة على الرغم من أن جمالها الأخّاذ قد كان سبب هلاكه، يقول:

مَاذا يَرومُ العَذْلُ مِنيَ ماذا ... أو ليسَ قلبي جذْوةً وجُذاذا
قالوا عِيادُك في السُّلُوّ من الهَوى ... قُلْتُ الهَوى أختارُ منهُ عِياذا
بأَبي مَهاةٌ عَوّدَتْ ألْحَاظَها ... فَرْسَ الأسُودِ فَما تُطيقُ لِواذا
عَزْلاءُ والشاكي السلاحَ قَنيصُها ... جَعَلَتْ أَخِيدَ دَلالِها الأخّاذا[٧٦]

ثم تتبدّى أسطورية هذه المحبوبة اللا محدّدة مكانيا، فتغدو ظِلاً لمضمر نسقي، وذلك أنها لا تعدو أن تكون فكرةً مسافرةً في جوّانية الشاعر النفسية، وهي الوعد بإصلاح حاله لدى السلطان أبي زكريا، ولذلك يشير الشاعر إلى انتمائها إلى بلاد فارس مرةً، ومرةً أخرى تظهر على أنها بغدادية مشرقية، يقول:

تَبأى[٧٧] على نفَر السواد بعدِّهَا ... كِسْرى أباً تُنْمَى لَهُ وقَبَاذا
بالشعبِ مِنْ بوَّان حلّ شَغوفها ... ومَحَلُّها بالكَرْخِ مِنْ بَغداذا
وَرَدَتْ بِحاراً للفُراتِ ودَجْلَةٍ ... وجَفَتْ أضَاءً بِالفَلاةِ إخَاذا[٧٨]

فنص الشاعر ابن الأبّار مفتوح على المجتمع والثقافة، ومن آثار انفتاح نصه على المجتمع تلمُّس الشاعر للحظة الانكسار، وحديثه بخفاء عن وهن العلاقة بينه وبين السلطة السياسية، فالاستشفاع أظهر ضعفه أمام المحبوبة، وانكساره أمام وعود ولي العهد، وتبعاً لذلك فإن بنية التخلّص من الغزل نحو المدح شكّلت أهم المفاتيح الدلالية لصنع جدلية الحضور والغياب في نصه، ومن ذلك قوله متخلّصاً من المقدمة الغزلية نحو مدح الأمير:

إنْ لَمْ تُجِرْ وَبِها أَلُـوذُ مِـن الهَـوى ... فَكَفى أبو يَحْيَى الأمِـيرُ مَـلاذا[٧٩]

فاختيار الشاعر لمصطلحي (الإجارة– اللواذ) في قوله (تُجِر، ألوذ، ملاذا) تدلّ على المعنى المركوز في نفسية الشاعر، حيث تمثّل المحبوبة العهودَ الممنوحة من الأمير بإصلاح الحال، والوعد بالشفاعة له عند والده، ومما يدلّ على أن المحبوبة تمثّل خطاباً استشفاعياً مرجئاً في نصه المدحي، اعتماده على تصوير المحبوبة من خلال ثنائيتي القوة والضعف، فالمحبوبة ظبية ضعيفة، وأهلها أُسُودٌ محميّة، كما أنه صوّر قوّة القانون الاجتماعي المدافع عن جناب المحبوبة، وضعفه تجاه جمالها الذي لا يقاوم، يقول:

أهْـلاً بِهِـنّ أهِلَّـةً وكَواكبـا
زَحَفَـت هِـلالٌ دونَهـنّ مواكِبـا
تَخـدي الركائِـبُ والسّـلاهِبُ[٨٠] حَوْلَهَـا
تُـرْدي كأسْـطارِ الكِتـابِ كتائبـا
فـالمَوْتُ بـينَ أوانِـسٍ وفَـوارِسٍ
جـاروا عَلـيّ أعادِيـاً وحَبائِبـا
هُـنّ الظِّبـاءُ العاطِيـاتُ سـوالِفاً
وهُـمُ الأسـودُ الضّـارِياتُ مَخالِبـا[٨١]

وتتحوّل لدى الشاعر لحظة اللقاء بالمحبوبة رغم الأسنّة والرماح المشرعة في وجهه، متعةً لا يمكن له الرجوع عنها، فالوعود المقطوعة له تبثُّ فيه الفرح على الرغم من الوشاة الذين يحيطون بالسلطان أبي زكريا، ولعله يقصد بذلك وزيره الرافض وجودَ ابن الأبّار في بلاط السلطان، يقول:

مَنْ راح بالبِيضِ النّواعمِ هائِماً ... لم يَغدُ للسُّمرِ الذّوابِل عائِبا
والصَبُّ مَن خاضَ الأسِنّة والظُّبى ... نَحوَ الظّباء مُطاعِناً ومُضارِبا[٨٢]

ويتجلّى المضمر النسقي المختلف في انتقال الشاعر نحو موضوعة المدح، مشيراً إلى ثنائية الضعف والقوّة/ الهوى والوغى، فهوى قلبه الذي رسم ملامحه بالحديث عن المحبوبة في المقدمة الغزلية، هو وعود الأمير أبي يحيى له بالتشفّع عند والده، يقول:

أمّا الهَوى فأخو الوَغى لَم أسْتَرِحْ ... مَن ذا لذاكَ مُراوِحاً ومُناوِبا
فكأنَّ عهْداً من وليّ العهدِ لي ... أنْ تُسْفِرَ الغَمراتُ عنّيَ غَالِبا[٨٣]

وهذا ما كرّره في آخر بيت شعري من القصيدة، والذي تمنّى الوفاء بوعد الاستشفاع ليرجع كاتب السلطان أبي زكريا:

وإذا النهى أملتْ عُلاكَ مَدائِحا ... فَمِنَ السّعادَة أن أكونَ الكاتِبا[٨٤]

ويمكن تمثيل هذه الجدليّة بالترسيمة الآتية:

المحبوبة/ العهود

الاختلاف/ الإرجاء

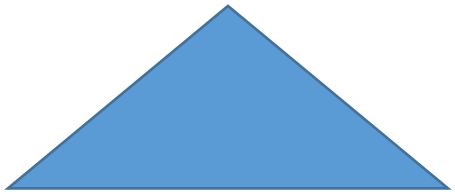

وصال المحبوبة / الاستشفاع — الشاعر/ الأمير

دلالة ظاهرة / دلالة خفية — **دلالة ظاهرة / دلالة خفية**

فالمعنى المرجأ في نص الشاعر والذي يفتح للقارئ التفكيكي أفقَ التوقع الدلالي، تشكّل اعتماداً على تحوير الشاعر فكرةَ الاستشفاعِ، حيث جعل من المحبوبة الواصلة بنيةً قلقةً مرجأةً في دلالاتها تتبدّل من موضع لآخر، فمرةً تمثّل العهودَ بالوصال والاستشفاع لدى الأمير، ومرّة تمثل الأمير ذاته، وقد استخدم الشاعر المحبوبةَ أيقونة جميلةً علّها أن تؤثر في المرسل إليه، ويتحقق مراده بالوصال.

الجدلية الرابعة: جدليّة المكان الحاضر الغائب:

مثّلت المقدمات الغزلية لقصائده ابن الأبّار المدحية الحفصية ضياعَ الأندلس/ المكان الحاضر شعراً، والغائب واقعا تحت سيطرة الإسبان، وقد أبانت القراءة التفكيكية عن تمثّلات المحبوبة التي شكّلت رمزا للأندلس الغائبة، غير أن هذه النسبة لم تتجاوز عُشْر القصائد المدحية، فقد بلغت قصائده المدحية التي افتتحها بمقدمات غزلية دالة على الأندلس الضائعة ثلاثة قصائد من أصل إحدى وعشرين قصيدة[٨٥]، وارتكز الباحث في الاستدلال على هذه القصائد بما أورده محقق الديوان الأستاذ عبد السلام الهرّاس، من أن موضوع القصائد اندرج تحت باب دعوة أبي زكريا الحفصي على إنقاذ الأندلس واستردادها، دون أي إشارة منه حول أسباب

تصنيفه المذكور، أكان من صاحب الديوان أم من غيره، وقد اتفق الباحث مع المحقق في ذلك، لأسباب عدّة، سيتم تفصيلها في إطار تحليله التفكيكي لدلالات المحبوبة في المقدمة الغزلية، إذ وجد الباحث أن ابن الأبّار اتخذ من المحبوبة معادلاً رمزياً للأندلس الذاهبة في هاتين القصيدتين، والأدلة على ذلك هي:

- إيراد الكثير من الإشارات الدالة على الكثير من الأمكنة بذكر أسمائها وصفاتها.
- الحديث عن الشعور الناجم من تذكّر تلك الأماكن.
- إضفاء القداسة على الديار والأمكنة، مما يجعل منها مكانا يُحَرّم ضياعه.
- تصوير المحبوبة تصويراً إيجابياً، حيث تبادل محبوبها المحبة والوفاء.
- قصر موضوع مدح أبي زكريا بذكر شجاعته ووصف حروبه، وأساطيل جيوشه.
- وصف السفن الحربية المدافعة عن الأندلس وصفاً مباشراً بعد المقدمة الغزلية.
- تحريض السلطان أبي زكريا على إنقاذ الأندلس في نهاية القصائد.

أولى الدلالات الموحية بأن المحبوبة قناع للأندلس المرجأة الخفية في نص ابن الأبّار، الإشارات الخفية للأماكن المشرقية المقدّسة، ومن أهمها مكّة والحرم الشريف، وقد سمّاها بالمزار:

يَقَرُّ بِعَيْنِي أنَّ قَلْبِيَ ما قَرّا
نِزاعاً إلى مَنْ لَوْ سَرى طيْفُها سِرّا
قُصارَايَ قَصْرُ النفسِ فيها عَلى الهَوى
هَواناً وقَتْلُ الصّبرِ في إثرِها صَبرا
وَقَوْلي عَلى قُرْبِ المَزارِ وبُعْدِه
سَلامٌ وإن حيّيْتُ مَنْ ربعِها

ثم الربط بين ديار المحبوبة/ المزار/ الأندلس وأثرها النفسي عليه، والذي تحوّل فيه المزار إلى مكان مقدّس كالكعبة المشرّفة وحجرها الأسود الكريم وركنها اليماني، وقد أومأ ابن الأبّار بخفية إلى ثنائية التحوّل التي حلّت بالأندلس من الخير(القصر) إلى الشرور (القبر) التي حلّت بها، بسبب من احتلال الإسبان، يقول:

أَلَـــمْ يَـــكُ لِلآمـــالِ كَعْبَـــةَ حِجِّهـــا
وكـــان لـــذي الأوْجـــالِ في حِجـــرِهِ حِجـــرا
جَـــديرٌ بِلَثْمـــي واسْـــتِلامي جِـــدارُهُ
وَركنـــاه عُرْفـــا عـــدّه الحـــبُّ أَوْ نُكْـــرا
فَـــلا عيـــدَ مَـــا لم تُســـعِدُني بعَـــوْدَةٍ
وأنّـــى يَـــؤُمُّ القَصْـــرَ مـــن يَمّـــمَ القَبْـــرا(٨٧)

وقد اجتمع في مقدمتيه الغزليتين أثر ذكرى المكان وما يشيعه في نفسه من شجون مؤلمة لعهد مضى، يقول:

أَرِقْتُ أُرِيقُ الـدّمْعَ يَسْـتَتْبِعُ الـدّما — فَما لَبِثَ الكـافورُ أن عَـادَ عَنْـدَما
حَنيناً لِعَهْـدِ المُنْحَنَـى أَنْبَـأَ الضّـنَى — بِمـا قَـرَّ في الأَحْنَـاءِ مِنْـهُ وَتَرْجَمـا
وَذِكْرى كَسَـقْطِ الزَّنْـدِ رُدّدَ قَدْحُـهُ — بِسَقْطِ اللِّوَى تَثْنِي الخَلي مُتَيَّما(٨٨)

ولعلّ الشاعر في ذكره الأماكن المشرقية يستذكر أصوله من قبيلة قضاعة، وكأن الأصول المشرقية الأصيلة وما توحيه أماكنها الدينية المقدسة، وأماكنها التي مثّلت ملاذ شعرائها الجاهليين كـ (سقط اللوى)، تجعل الشاعر المعتدّ بنفسه صاحب الذات المتضخمة يرفض ضياع الأندلس، والقراءة التفكيكية تظهر ذكاء الشاعر ومراوغته في إظهار حنقه على ضياع الأندلس، حيث كان فخره بالأندلس وتفضيله لها على غيرها من أسباب عزْله عن منصبه، ولقد كان "للأوضاع السياسية التي ميّزت عصر ابن

الأبّار، وإقامته في البلاط الحفصي دور حاسم في جنوحه نحو هذه الأساليب البديعية، والميل إلى الرمزية اللفظية لما يتطلّبه المقام من حذر والتواء وتوريه في مخاطبة هؤلاء الحكّام، خوف غضبهم وخشية بطشهم"[٨٩]، وهذا ما ألمح إليه في إشارته إلى رحيل المحبوبة وحجبها عنه، مشيرا إلى اللوم الذي أسند إليه بفعل حبّه للأندلس، وتفضيله لها على غيرها، يقول:

وحَيْثُ اِلقبابُ الحُمْرُ بَيْضاءُ غادَةٌ ... عَقَدْتُ بِها حَبْلَ الهَوى فَتَصَرّما
أُحَلأُ عَن سَلْسَالِهَا مُتَعَطّشاً ... وأُحرَمُ مِنْ أَظْلالِها مُتَضَرِّما
ولا ذَنْبَ إلا أنْ كَتَمْتُ عَلاقَتِي ... فَبَاحَتْ بِهِ نُجْلُ الكُلومِ تَكَلُّما[٩٠]

فالبوح بتفضيله الأندلس يعدّ ذنبا قد يحرمه مما هو عليه من حال جيدة لدى السلطان أبي زكريا، فلقد كان ابن الأبّار دائم الفخر بالأندلس يفضلها على أفريقيا، ومن هنا استغنى عنه أبو زكريا الحفصي[٩١]، ويصف الشاعر المحبوبة الرمزية في المقدمة الغزلية بالسكن/ الزوجة:

هَلِ العَيْشُ إلا أن أغازلَ غَادَةً
يُحَاسِنُ مَرْآهَا الغَزالَةَ والبَدرا
وَأسكُنُ مِنها قاطِفاً ثَمَرَ المُنى
إلى سَكَنٍ كالرّيمِ لم يَرْمِ الفِكرا
غُلبتُ عليها مِنْ رَداها بِأغلَبٍ
فَما بِيَدي مِنها الغداةَ سِوى الذكرى[٩٢]

والعرب كما هو معلوم كثيرا ما تظهر الشوق والحنين للموطن والمرأة المحبوبة، إذ إن "أول رموز الشوق والحنين هو المأوى. والدار والمنزل وأوضح ما يدل على المأوى، ثم المرأة فرع من هذا المعنى... والعرب مما تكني بالبيت عن المرأة"[٩٣]، وقد

انتظم الأمر ذاته لدى الأندلسيين، فكثيرا ما اعتنوا بـ"ما تثيره الرسوم في نفوسهم من ذكريات ماضٍ سعيد، تمتزج فيها اللذة بالألم والمتعة بالحزن"(٩٤)، وقد رسم الشاعر في قصيدته اللامية مشهداً موحياً بعودة المحبوبة بعد انقطاع ورحيل، موحياً بذلك إلى انتصار أبي زكريا يحيى المرتضى للأندلس، وإعادته لها، يقول:

لم يَخُنْ في الحبِّ تَأويلي ... هذِهِ الحَسناءُ تَأْوِي لِي
أبْصَرَتْ صَبْري علَى كلَفي ... بَيْنَ تَنْكِيبٍ وَتَنْكيلِ
وَدَرَتْ أنْ لَيْسَ يَدْرَأُ بِي ... طُولُ تَعْذيبٍ وَتَعْذيلِ
فَكَفَتْ وَكْفَ الجُفون دَماً ... حالَ تَسْبيحٍ وَتَسْبيلِ(٩٥)

فالثنائية الضدية الزمنية بين الماضي والحاضر، تدل على الاختلاف والإرجاء في حال المحبوبة/ الأندلس من البعد إلى القرب، فالمحبوبة البعيدة عن محبّها/ الأندلس البعيدة عن حكم أبنائها المسلمين، عادت اليوم (الحسناءُ تأوي لي)، محوّلة واقعه الأليم (تنكيب وتنكيل) (تعذيب وتعذيل) (وكْفَ الجفون دما) من خلال ثقافة الإيواء/ العودة للمحبوب، وتزداد هذه الرؤية التفكيكية وضوحا في انتقال الشاعر نحو النسق النفسي الذي يشغل فكره، وهو مشهد نصر الأندلس، وصورة الأساطيل البحرية التي قادها الحاكم الحفصي نحو الأندلس، وذلك بإشارة الشاعر إلى أن الغزل لا يعنيه كثيرا (دعْ أساليبَ النسيب)، وإنما ما يهمه هو مشهد الجيوش الزاحفة نصرةً للأندلس، يقول:

دَعْ أَساليبَ النَّسيبِ وَخُذْ ... في أَساطيرِ الأَساطِيلِ
أخَواتُ الخَيْلِ سَابِحَةً ... ذَاتُ تَزْيين وَتَزْييلِ
وَبَنَاتُ الماءِ صَائِلَةً ... كالأفَاعِيِّ الأَفاعيلِ
علتِ المِلْحَ الأُجاجَ فَما ... شِئْتَ مِنْ تَشْمير تَشْمِيلِ
لا تَزَالُ العُجْمُ تَعْجُمُها ... طَيَّ تَعْجيزٍ وَتَعْجيلِ(٩٦)

وقريب من المشهد السابق يظهر مشهد آخر مدح الشاعر به الحاكم الحفصي في قصيدته الرائية، وصوّر بطولاته ومعاركه البحرية، مما أبان الدلالة الغائبة للمحبوبة الرمزية/ الأندلس في المقدّمة الغزلية، إذ بتصويره المدحي للتفوّق الحربي للسلطان الحفصي يُخفي دعوته لنصرة الأندلس الغائبة/ المحبوبة المحميّة في القباب الحمر، يقول:

ولُذْتُ بِيَحْيى المُرْتَضَى أسْتَعينُهُ ... فأحْدقُ بي أنجادُه جَحْفلا مُجرى
أحَقُّ مُلوكِ الأرْضِ رَأياً وَرايَةً ... بِفَوْز ونَصر لاعَدا الفوْزَ والنّصْرا
سَوابِحُهُ عَمَّ الأعادِيَ عَدْوُها ... بَوَاراً وأسمَى السَّعْي ما انتَظَم البَرَّا
فَمِنْ مُقْرَبَاتٍ جَاستِ السَّفْعَةَ[٩٧] ... ومِن مُنْشَآتٍ جَابَت الأبْحُرَ

وهذا ما كرّره في مختتم شعره، حيث يدعو لإنقاذ الأندلس قائلاً:

فَدُمْ أيُّها المَولى مُعاناً مُؤَيَّداً ... مَتَى رُمْتَ مَغْنىً حازَهُ السَّيْفُ مَغْنَما
وسُلَّ عَلى العَادِينَ سَيْفَكَ مُنْدِماً ... وَسُحّ عَلى العافِينَ سَيْبَكَ مُنْعِما[٩٩]

وأخيرا يمكن أن تظهر جدليّة الحضور والغياب المكاني في مقدمة ابن الأبار الغزلية، كما في الخطاطة الآتية:

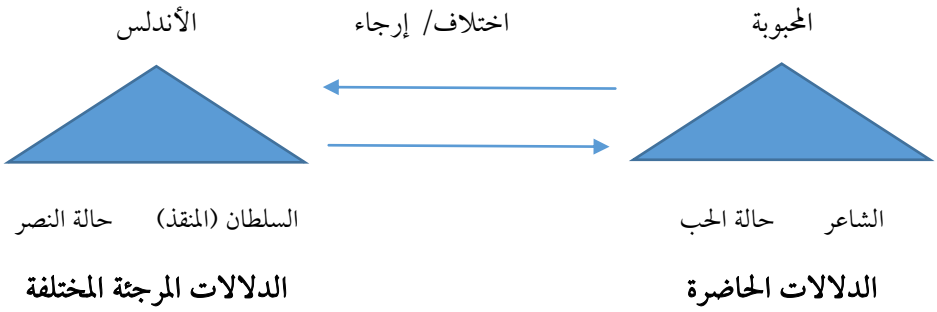

فالمعاني التفكيكية المختلفة للمكان في نص الشاعر قد جاءت بدلالات متحولة مرجأة، شكّلت الأندلس/ المكان محورها، فالمعنى المركزي الظاهر في النص يتحدّث

عن المحبوبة، غير أن المعاني المرجأة المختلفة في الأنساق المضمرة تدلّ على انتقال المحبوبة من دلالتها الظاهرة إلى دلالة جديدة متعلقة بالمكان/ الأندلس، وهذا ما تتوخاه القراءة التفكيكية للنصوص، ففي التفكيك يتم الاشتغال على ثنائية الحضور والغياب، الحضور حسب التفكيك ظاهر للعيان، والغياب المعاني الخفية الغائرة، وهو ما يمكّن النص من الانفتاح اللانهائي للدلالات، ويثبّت ما انطلق منه التفكيك من أن كل قراءة هي إساءة قراءة.

خلاصــة

يرى الباحث أن المقدمة الغزلية في شعر ابـن الأبّـار احتفـت بـدلالات مختلفـة مرجئة، ينماز فيها ظاهر الـنص عـن باطنـه، والقـراءة التفكيكيـة سمحـت للباحـث بتلمس مواضع هذه الدلالات المراوغة، بتفكيك الظاهر وإعادة بنائـه برؤيـة جديـدة، مرتبطة بواقع الشاعر الثقافي، اعتماداً على الأفق التأويلي المفتوح، حيث مثّلت المحبوبة الحاضرة في المقدمة الغزلية جدلية رمزية للهجر المـبطّن، الـذي عـانى منـه في علاقتـه بالسلطة السياسية الحفصية في تونس، فقد كانت العلاقة بالسلطان أبي زكريا الحفصي المضمر النسقي الخفيّ في بنية المقدمة الغزلية، وذلك بتركيز الشاعر على جعل المحبوبـة قناعاً ثقافياً دالاً على الهجر وضياع منصب الكتابة والمكانة الرفيعة.

كما توصّل الباحث إلى أن الاختلاف الدلالي في المقدمـة الغزليـة قـد جـاء في بعض قصائد الشاعرة دالاً على بنية تصالحية في تعامل الشاعر مـع الأمـير أبـي يحيـى ولي العهد، حيث دلّت المحبوبة على بنيـة الاستشـفاع، ممـا أكّـد فكـرة ذاتيـة الشـاعر الطاغية في نسيج نصه الشعري، واحتفائه بمطالبه الذاتية، وقضاياه الشخصية أكثر مـن احتفائه بقضية الأندلس، والتي جـاءت قليلـة في المقـدمات الغزليـة لشـعره المـدحي، وذلك أن الدعوة لنصرة الأندلس لم تُمثَّلْ إلا في مقدمات غزلية ثلاثة، شكّلت خلالها المحبوبة جدلية رمزية للأندلس الضائعة في المقدمة الغزلية.

وأخيراً وجد الباحث أن ذكائية الشاعر ومراوغته النصـية جعلتـه يعمـد علـى المقدمة الغزلية، ليجعل منها قناعاً نفسياً يشي بما يبطنه ويضمره، محاولة منه للوصـول إلى مبتغاه دون التصريح به.

الهوامش والتعليقات:

(١) البازعي، سعد وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠، ص ١٠٨.

(٢) دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٤٩.

(٣) حرب، علي، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥، ص ٢١.

(٤) إبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦، ص ١٢٦.

(٥) إبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر، ص ١٢٤.

(٦) زيما، بيير، التفكيكية دراسة نقدية، ترجمة: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص ٧٨.

(٧) عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٣٨-١٣٩.

(٨) إبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر، ص ١١٨- ١١٩.

(٩) دريدا، جاك، في علم الكتابة، ترجمة: أنور مغيث ومنى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨، ص ١٣١-١٣٢.

(١٠) حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، العدد ٢٣٢، ص ٣٠٦.

(١١) كلر، جوناثان، التفكيك، ترجمة: حسام نايل، مجلة فصول، العدد ٦٦، ٢٠٠٥، ص ٩٤.

(١٢) حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة، ص ٢٥٨.

(١٣) إبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر، ص ١١٩.

(١٤) إبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر، ص ١٣٢.

(١٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٥٨، ج١، ص ٧٦.

(١٦) انظر ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط٥، ١٩٨١، ج٢، ص ١١٧.

(١٧) انظر قصة عزل ابن الأبار في كتاب: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨، ج٢، ص ٥٩٠.

(١٨) ابن الأبار، ديوان ابن الأبار القضاعي البلنسي، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٩٩، ص ١١٠.

(١٩) كلر، جوناثان، التفكيك، ص ٩٩.

(٢٠) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١١١.

(٢١) انظر مقدمة المحقق: حسين مؤنس لكتاب: الحلّة السيراء لابن الأبّار، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، ج١، ص ٤١.

(٢٢) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٥٩٠.

(٢٣) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٥٣.

(٢٤) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٥٣.

(٢٥) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٥٤.

(٢٦) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٥٧.

(٢٧) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٥٨.

(٢٨) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٦٤.

(٢٩) رورتي، ريتشارد، التفكيك، بحث ضمن: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تحرير: رامان سلدن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٣٠) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٦٥.

(٣١) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢٣٨.

(٣٢) انظر مقدمة كتاب: الحلة السيراء لابن الأبّار، ج١، ص ٤٢.

(٣٣) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢٣٩.

(٣٤) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٦٤.

(٣٥) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٦٥.

(٣٦) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٤٩.

(٣٧) الغمص: الاحتقار، انظر مادة (غَمَصَ) في لسان العرب لمحمد بن مكرم ابن منظور، ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط١.

(٣٨) الوقم: القهر، انظر مادة وَقَم في لسان العرب لابن منظور. والوقص: العيب، انظر مادة وَقَصَ في لسان العرب لابن منظور.

(٣٩) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٥٠- ٣٥١.

(٤٠) الزين، شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٩٠.

(٤١) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٩٧.

(٤٢) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٩٧.

(٤٣) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٩٨.

(٤٤) انظر مقدمة المحقق حسين مؤنس لكتاب الحلّة السيراء لابن الأبّار، ج١، ٤٠.

(٤٥) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٤٢٠.

(٤٦) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٤٢١.

(٤٧) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢٢٦.

(٤٨) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣١٩.

(٤٩) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٢٣.

(٥٠) الأصيد: الفخور بنفسه، انظر مادة: صَيَدَ في لسان العرب لابن منظور. الجحجاج: الكريم، انظر مادة جَحْجَحَ في لسان العرب لابن منظور.

(٥١) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٢٣.

(٥٢) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٢٥.

(٥٣) حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة، ص٣٢٩ وما بعدها.

(٥٤) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٤٠.

(٥٥) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٤٣٦.

(٥٦) الأواري جمع أورة، وهي الحفرة التي يجتمع فيها الماء، انظر مادة (أور) في: لسان العرب لابن منظور.

(٥٧) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص٤٤٤.

(٥٨) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٤٤٥.

(٥٩) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٤٤٧.

(٦٠) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢٢٦.

(٦١) الكتبي، محمد شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣، ج٣، ص ٤٠٥.

(٦٢) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٥٩٣.

(٦٣) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٤٠.

(٦٤) لقمان، شاكر، مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبّار القضاعي بين النمطية والتنوع، مجلة الأثر، العدد ١٧، ٢٠١٣، ص ٨٢.

(٦٥) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠، القسم الثاني، ص ٤٣٨.

(٦٦) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٤٣٤.

(٦٧) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا، انظر ذلك في: معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، مجلد ٤، ص ٩٢. بارق: ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، مجلد ١، ص ٣١٩.

(٦٨) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٢٤.

(٦٩) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٨٢.

(٧٠) انظر مقدمة حسين مؤنس لكتاب: الحلة السيراء لابن الأبّار، ج١، ص ٤٥.

(٧١) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٨١.

(٧٢) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٤٠.

(٧٣) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٤١.

(٧٤) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٣٤١.

(٧٥) دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، ص ٤٧.

(٧٦) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٩٣.

(٧٧) تبأى: تَفْخر، البَأْو الكِبْر والفخْر، انظر مادة (بأى) في: لسان العرب لابن منظور.

(٧٨) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٩٣ وما بعدها.

(٧٩) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ١٩٤.

(٨٠) السلاهب جمع (سلهب) وهي الخيل الطويلة، انظر مادة (سلهب) في: لسان العرب لابن منظور.

(٨١) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٧١.

(٨٢) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٧٢.

(٨٣) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٧٢.

(٨٤) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٧٥.

(٨٥) انظر القصائد الثلاثة في ديوان ابن الأبّار، ص ٢١٦، ٢٤٥، ٢٨١.

(٨٦) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢١٦.

(٨٧) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢١٦.

(٨٨) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢٨١.

(٨٩) طريفة، حميد، ابن الأبّار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ٢٠١٠، ص ١٥١.

(٩٠) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص٢٨٢.

(٩١) انظر مقدمة حسين مؤنس لكتاب الحلّة السيراء لابن الأبّار، ج١، ص ٤٢.

(٩٢) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص٢١٧.

(٩٣) الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ج٣، ص ٨٩٩.

(٩٤) نجا، أشرف محمود، قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية عصر الطوائف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٣٤.

(٩٥) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص٢٤٥.

(٩٦) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢٤٦.

(٩٧) السفعة: ما في دمنة الدار من زبل أو رمل أو رماد أو قمام ملتبـد، تـراه مخالفـا للـون الأرض، انظر مادة (سفع) في: لسان العرب لابن منظور.

(٩٨) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢١٨.

(٩٩) ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص ٢٨٥.

المصادر والمراجع

١- ابن الأبّار، الحلّة السيراء، ط٢، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

٢- ابن الأبار، ديوان ابن الأبار القضاعي البلنسي، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٩٩.

٣- إبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦.

٤- البازعي، سعد وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

٥- حرب، علي، نقد النص، ط٤، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥.

٦- حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، العدد ٢٣٢.

٧- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

٨- دريدا، جاك، في علم الكتابة، ترجمة: أنور مغيث ومنى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨.

٩- دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠.

١٠- رورتي، ريتشارد، التفكيك، بحث ضمن: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تحرير: رامان سلدن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.

١١- زيما، بيير، التفكيكية دراسة نقدية، ترجمة: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

١٢- الزين، شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

١٣- طريفة، حميد، ابن الأبّار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ٢٠١٠.

١٤- الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠.

١٥- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس. القسم الثاني، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠.

١٦- عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٧- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٥٨.

١٨- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط٥، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ١٩٨١.

١٩- الكتبي، محمد شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.

٢٠- كلر، جوناثان، التفكيك، ترجمة: حسام نايل، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦، ٢٠٠٥، ص ٨٨-١٠٦.

٢١- لقمان، شاكر، مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبّار القضاعي بين النمطية والتنوع، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد ١٧، ٢٠١٣، ص ٧٣-٩٦.

٢٢- المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨.

٢٣- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب لابن منظور، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٢٢.